تَحوُّلات ونَجاحَات

أميرة عرينات

«يا ريتك لو جيتي شاب»، جملة تتردد، بشكل يومي، على مسامعي، لأنها تعبر عن أمنية والديَّ، ليكون لدى أخي الوحيد أخ آخر، لكن مجيئي شكل لهم مفاجأة ليست كما تمنوا، فما كان من أبي، الذي أحضر معه الحلوان يوم ولادتي، إلا أن أعاده كما هو لمن اشتراه منه بعدما سمع بأن مولوده أنثى.

منطقة العوجا في أريحا هي البلدة التي ترعرعت فيها، وتعلمت أن هناك محظورات كثيرة يجب على الفتاة أن تأخذها بعين الاعتبار ولا تتجاوزها، وإلاّ ستكون عرضة للكثير من الأحاديث والثرثرة، وستعرض أهلها للكثير من التساؤلات والكثير من التحذيرات. كان التحول الأول الذي خضته مع مشروع مجتمعي في منطقتنا، فكنت ممن انضم لهذا المشروع مع 4 فتيات أخريات، و4 شبان، ما عرّض أمي إلى الكثير من الانتقادات: «ديري بالك على بنتك، عم بتفقدي سيطرتك عليها، انتبهي على ممشاها، نحن حذرناك» ... .

كنت البنت الصغرى في عائلة أبي الثانية، كانت أختي تكبرني بسنوات، أنهت الثانوية واتجهت لمتابعة تعليمها الجامعي، حيث بدأت العمل على مشروع مجتمعي في منطقتنا، يقوم على جمع مجموعة من الشبان وتطوير فن التواصل والقيادة لديهم، وإبراز دور الفتاة في المنطقة، وتغيير الفكر اتجاهها، وبأنه يمكنها أن تكون ذات دور فعّال ومنتج في بلدها.

كانت اللقاءات الأولى في المشروع صعبة، كنا نجلس في جهة بعيدة عن الشباب، ولا نحتك بهم بتاتاً، حتى أننا لم نكن نشارك ولا نتفوه بأي كلمة، لأننا اعتدنا أنه من العيب أن تتحدث الفتيات أمام شبان ليس بينها وبينهم أي صلة قرابة. لكن مع الوقت بدأت الأمور تتغير، وبدأنا نشارك في الحوارات والنقاشات، وبدأنا نفكر بعمل مشروع مجتمعي مشترك لأجل منطقتنا، فجاءت فكرة جمع كتب لتغذية مكتبة قريتنا بها، فما كان علينا إلاّ أن نتوجه في مجموعات إلى مكتبات في رام الله، وطلب الدعم منها. كان الموضوع بالنسبة لنا كفتيات صعباً جداً. الخروج إلى رام الله وحدنا، والتوجه إلى مكتبات والتحدث إلى مسؤوليها أيضاً وحدنا، نحاول إقناعهم بمشروعنا، وجمع أكبر قدر من الكتب منهم، مواجهة مباشرة مع غرباء، موضوع لم يكن بالسهل أبداً علينا، لكنه تطلب منا تحدياً كبيراً ونجحنا.

نجاحنا أسعد سكان منطقتنا كثيراً، شاهدوا حراكاً مجتمعياً لشبان وفتيات يتعاونون معاً لأجل بلدهم، ويحققون شيئاً مهماً جداً لآخرين من سنهم، مشروع جعلهم يعيدون التفكير في الأمور مجدداً، ويحاولون أن يرونها من

وجهة نظر مغايرة، فتوجهوا لنا بالشكر لما حققناه بعد الانتقادات اللاذعة التي سمعناها وعشناها فترة طويلة، وطلبوا إلينا ضم أبنائهم للعمل معنا حتى نساعدهم على تطوير شخصياتهم، وبدأوا يشجعوننا على الاستمرار.

أنهيت مرحلة الثانوية العامة بمعدل لا يسمح لي بمتابعة تعليمي الجامعي، ما اضطرني لأتعلم مهنة التجميل التي لم أحبها، ولم تكن يوماً هويتي، وفضلت أن أجلس في البيت على أن أمتهنها.

في أحد الأيام، يتوفر شاغر في إحدى الرياض القريبة منا، فتطلب مني مديرة الروضة أن آتي لأتطوع بها بدلاً من الجلوس في البيت دون أي شيء أعمله. ذهبت، ويا لصعوبة ما واجهته، فأنا لم أمتلك أي خبرة في التعامل مع الأطفال، ولا أعلم كيف أتعامل معهم، وكيف أعلمهم، كنت أشعر دوماً بارتباك، وكنت أواجه صعوبة كبيرة في ضبط الصف، وتعبئة أوقات الفراغ التي لا يوجد لها درس أعلمهم إياه.

طلبت المديرة مني أن أتابع العمل في الروضة كمعلمة، لكنني ترددت كثيراً، فأنا لا أشعر نفسي متمكنة، ولا أستطيع أن أعطي هؤلاء الأطفال الكثير، لكنها وعدتني بأنها ستقدم الدعم اللازم لي، فقبلت.

السنة الأولى لي في العمل كانت صعبة جداً، ليس لدي ثقة بنفسي، ولا أملك الكثير من المهارات لأشعر بالقوة التي أحتاجها أمام أطفال صفي، وأمام زميلاتي في العمل، إلى أن تلقيت مكالمة هاتفية من زوجة أخي التي تعمل معلمة، تخبرني فيها عن مؤسسة عبد المحسن القطان في رام الله، التي تعلن عن برنامج في التكون المهني لمربيات الطفولة المبكرة، تقنعني في الانتساب إلى الدورة، وأنها ستضيف لي الكثير. ترددت قليلاً، وتساءلت هل سيوافق والداي على انتسابي في هذه الدورة؟ ماذا سيقول عني سكان بلدتي؟ هل ستوافق مديرة روضتي على التحاقي في الدورة؟ هل سأستطيع المتابعة بها؟ وهل سأجد فيها ما أبحث عنه؟

وتحت ضغط زوجة أخي وافقت، وقامت هي بتعبئة طلب الالتحاق، وكذلك بإقناع والديّ بأن هذه الدورة ستوفر لي الدعم الذي سأحتاجه، وكذلك الشهادة التي ستجعلني أقوى، وأنها الفرصة الوحيدة التي سأطور فيها نفسي في مجال التعليم والطفولة، وأتقدم في مهنتي، وبخاصة إنني لا أملك أي فرصة أخرى في الحياة لأكمل فيها تعليمي، وأحصل على شهادة.

مشاركة أطفال روضة «أحباب الله» في أحد الأنشطة مع مربيتهم أميرة عرينات.

التحول الثاني كان مع انتسابي لدورة مع مؤسسة عبد المحسن القطان، حيث شكلت مرحلة جديدة في حياتي، أضافت لي الكثير على جميع الأصعدة، جعلتني أجد نفسي، وألتقط نقاط القوة والضعف في شخصيتي، دفعتني خطوات كثيرة إلى الأمام في مهنتي، عززت ثقتي بنفسي، صرت أشعر أن لدي الكثير مما أقدمه لهم، فلم أعد أشعر بأنه يوجد في وقت دوامي معهم وقت فراغ أشكو منه، بل على العكس تماماً، فنحن دائماً مشغولون في صفنا، دوماً لدينا الكثير مما نريد أن ننجزه معاً. أصبحت بيننا لغة مشتركة، صرنا نتعلم معاً، وصرنا أقرب بكثير إلى بعضنا البعض، أحببتهم وأحببت مهنتي وكذلك روضتي. بالمعرفة التي اكتسبتها من برنامج «القطان»، استطعت أن أنتقل من الجمود إلى الحركة في الحياة. استطعت أن أجد لطلابي أدواراً يقومون بها غير الحفظ، والكتابة، وترديد الكلمات.

أصبحت عائلتي ترى فيّ شخصية قوية، مستقلة، عندي ثقة كبيرة بنفسي، أحقق ذاتي، أصنع مستقبلي، فبدأوا يشجعونني كثيراً لأمضي قدماً، حتى بات أبي يسألني» لم تذهبي منذ مدة إلى «القطان»، متى لقاؤكم القادم؟». حتى جاءتني فكرة الانتساب إلى «المدرسة الصيفية: الدراما في سياق تعلمي» التي ينظمها برنامج البحث والتطوير التربوي في مؤسسة عبد المحسن القطان سنوياً في جرش، فكانت هذه أصعب مرحلة في حياتي، فلم اعتد يوماً على السفر وحدي دون مرافقة أمي لي، فكان من الصعب عليّ إقناعهم بالسماح لي بالسفر ومتابعة موضوع الدراسة والتعليم بالدراما، الدراما التي أصبحت جزءاً لا يتجزأ مني، ومن تَكُوُّني المهني.

استنجدت مجدداً بزوجة أخي التي عملت، جاهدة، لتقنع أبي بالسماح لي بمتابعة تعليمي. لم يكن الأمر بالسهل أبداً، فوافق والديّ على مضض، حتى حان موعد السفر، وما أن توجهت إلى استراحة أريحا حتى ترددت وبدأت دموعي بالانهمار، فقررت عدم متابعة الطريق والعودة إلى بيتي، إلى أن هاتفتني زوجة أخي قائلة لي: «حدّ بيصح له فرصة يستفيد وبيقول ما بدي، هذه فرصة لمرة واحدة لا تضيعيها، تابعي طريقك ولا تنظري للخلف». استطاعت كلماتها هذه أن تمدني بالدعم الذي احتجت إليه في تلك اللحظة، حملت حقيبتي وتابعت طريقي التي جعلتني إنساناً آخر، إنساناً جديداً. وما زلت في الطريق.

روضة أحباب الله – أريحا

جانب من تطبيقات المربية أميرة عرينات مع أطفالها في روضة «أحباب الله» في أريحا.